تسهيل الخط العربي

لقد كثر البحث في هذا الموضوع ، وتكرر في المجامع العلمية العربية ومؤتمراتها الثقافية ، وكتب فيه جماعة من فضلاء الأدباء والخطاطين الراسخين في فن الخط ، من مسهب في بحثه أو موجز .

ولم تستقر تلك الأبحاث المختلفة الوجوه على أسلوب معين ، ولم يختمر رأي في اختيار ما يعد أصلح الأساليب للعمل به والسير عليه ، حتى الآن . وكنت قد شاركت في هذا الأمر المهم في حياة الخط العربي ، فكتبت فيه مقالات في جريدة العالم العربي العراقية بين سنتي ١٩٢٤ و ١٩٢٥ على ما أتخطر .

وقد دفعني الى استئناف بحث الموضوع ما دار من الكلام فيه مجدداً في مؤتمر المجامع العلمية الذي انعقد في السنة الماضية في دمشق الحريصة على حفظ التراث العربي الثمين .

لا أريد أن أبحث في هذا المقال عن صيغة عبارة (الخط العربي) أو (الأملاء العربي) أو (رسم الخط العربي) . وأي هذه التعابير هو الأرجح ؟ فان مناقشة ذلك قليلة الجدوى ، ولا تهمني في هذا المقام . وإنما أوجه بحثي الى الطريقة التي يسهل بها (الخط العربي) أو (الإملاء العربي) أو (رسم الخط العربي) .

وأهم ما تلخص عندي في الموضوع من مجموع ما سمعته وقرأته وكتبته خمسة آراء :

١ — أن يتبع الرسم المعمول به في الأقطار العربية غابراً وحاضراً ، وتطوى الحروف التي تتألف منها الكلمات العربية رسمها المألوف طي السجل للكتب ، وتطمر في غياهب الجب ،

ويعتاض عنها بالحروف اللاتينية ، لأسباب تافهة كل التفاهة ، وعللٍ هي عللٌ وأمراض في الواقع والحقيقة انتابت قلوب الذاهبين الى هذا الرأي ، أهمها :

أ) أن بعض الأمم الناهضة حديثاً قد استبدلت الحروف اللاتينية بالحروف التي كانت تخط بها كلماتها إثباتاً للتجديد في حياتها الناهضة .

وفات هؤلاء أن أولئك القوم لا يملكون حروفاً هجائية برسم خاص بهم ، لأن حروفهم الهجائية التي استبدلوا غيرها بها كانت مستعارة من قوم آخرين . فلم يفعلوا أكثر من تغيير العارية . ثم ما لنا وهؤلاء وتقليدهم ، ونحن نملك حروفاً هجائية أصيلة نحبها ونحبنا ، ذات رسم جميل خاص بنا ، أنتجت كلمات عربية لا تنفد عدداً ، ملأت بطون ملايين الكتب في مختلف العلوم والآداب ، فلم تَشُقْ بها ، ولم تستثقلها ، بل حفظت تراثاً ثميناً ، نفخر به مدى العصور . وهل ان استبدال حرف بحرف دليل على النهوض والتجدد ؟ وهل تبديل عارية بعارية دليل على التقدم والنهوض ؟ أو ليس استبدال العارية بالملك استبدال الأدنى بالذي هو خير ، وتضييع للملك الراسخ الغالي ، ونكران لجميله الذي يعجز القلم عن ايفائه شكره ؟ وأقف عند هذا الحد من الاندفاع في الرد احترازاً عن الإطالة والخروج عن الموضوع .

ب) أن رسم الهمزة والألف اللينة في آخر الكلمة ، يوقعان الخاطَ في الحيرة والارتباك ، لاختلاف رسم الهمزة باختلاف موقعها في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها ، وتبعاً لمقتضى حركتها أو حركة ما قبلها ، ولاختلاف رسم الألف اللينة باختلاف أصلها من كونه واواً أو ياءاً ، أو باختلاف عددها في آخر الكلمة . ولا أطيل مناقشة هذه العلة ، فانها تبطل نفسها بنفسها ، لأن مجرد التبلبل في رسم حرف أو حرفين من مجموع الحروف العربية لا يستوجب طرح الحروف جميعها وابدال حروف أعجمية بها ، إذ ما ذنب الباقي ؟ وهل وقف العجز بنا عن اماطة أذى التبلبل عن طريق هذين الحرفين الى حد أن ننبذ الحروف كلها نبذ النواة ، بعد أن أسدت معروفها للغة العربية زمناً يقرب من أربعة عشر قرناً أو يزيد ؟

٢ — أن يحتفظ بالحروف العربية برسمها المألوف بشكل واحد ، وهو شكل رسمها المعمول به في أواخر الكلمات (بـ ـتـ ـثـ ـجـ ـحـ ... الخ) ، وتكتب الكلمات بحروف متتالية منفصل بعضها عن بعض ، وتفصل كل كلمة عن أخرى بنقطة أو فارزة أو خط صغير ، كأن تكتب عبارة (الخط جميل) هكذا (أ ل خ ط . ج م ي ل .) .

وهذا الأسلوب يسهّل في الحقيقة والواقع تعلم الكتابة والقراءة كل التسهيل ، ويمحو الأمية بأقصر وقت ، إذ ليس على الراغب في تعلم القراءة والكتابة أكثر من أن يحفظ الحروف الهجائية ويتعلم رسمها بالشكل الآنف الذكر ، ثم يكتب الكلمات التي يريد كتابتها برسم الحروف التي تتألف منها نطقاً بلا زيادة ولا نقص .

بهذا الأسلوب نستطيع أن نزيل الأمية عن الأمة في وقت قصير بلا كبير عناء ، ولكننا نخسر به شيئين ، لهما أهميتهما : جمال الخط ، وقصر الكلمة رسماً .

على أن هذا الرأي على فرض قبوله لإخراج الأمة العربية من ظلام الأمية الى نور الكتابة والقراءة في أقرب وقت ، نختار أن ترسم فيه الحروف على الوجه التالي :

الف باء تاء ثاء جيم حاء خاء دال ذال راء زاء سين شين

ا بـ تـ ثـ جـ حـ خـ د ذ ر ز سـ شـ

صاد ضاد طاء ظاء عين غين فاء قاف كاف لام ميم نون

صـ ضـ طـ ظـ ء غـ فـ قـ كـ لـ مـ نـ

واو همزة هاء ياء رسم الف

و ؤ هـ يـ ر

فان هذا الرسم أخصر وأسهل وأقصر من رسمها على الوجه المألوف :

(أ بـ تـ ثـ جـ حـ خـ ..)

كما أنه أقرب الى رسمها على ما سيجيء في الرأي الثالث ، بل ربما أنتقل متعلم هذا الرسم الانقطع الحروف بعد مدة قليلة الى رسم الكلمات على الوجه الثالث — المختار عندي — لشدة التقارب بين الوجهين .

ومما يلاحظ هنا أنا زدنا رسماً خاصاً للهمزة بشكل (ؤ) ووضعناه بالترتيب بعد الواو وقبل الهاء ؛ لأن كلاً من الهمزة والهاء من حروف الحلق ، فهي أنسب بالوضع في جوارها ، وأخترنا (ؤ) لرسم الهمزة ، ولم نختر (أ) أو (ىء) لأن الرسم المختار أكثر ملاءمة للاتصال والانفصال في الرسم كما يظهر عند التجربة والتأمل . ولم نقتصر لها على هذا الرسم (ء) لأن هذه الأشارة يصعب ظهورها في وسط الكلمة بأطراد ، كما أنها قد تختلط بالنقطة (٠) عند الاستعمال في الكتابة ، بل قد تضيع عند المزاحمة .

٣ — المحافظة على الحروف العربية برسمها المألوف مع إحداث إصلاحات طفيفة فيها تفي بالحاجة ، وتسدُّ العوز ، وتدفع الشكوى التي علا ضجيجها ، وطال أمدها ، مع المحافظة على جمال الرسم وحسن الخط وقصره . وحاصل ذلك :

أ — أن ترسم الألف اللينة بهذا الشكل (ا) مطلقاً أي سواء وقعت في الوسط أو في الآخر — ولا يتصور وقوعها في الأول — وسواء كان أصلها واواً أو ياءاً أو كانت ثالثة في آخر الثلاثي أو رابعة أو خامسة أو سادسة في آخر الرباعي أو الخماسي أو السداسي ، عربية كانت الكلمة أم أعجمية ، فتكتب الكلمات :

(على . دعا . رمى . عصا . منى . موسى . مصطفى . أعطى . استقصى)

ونحوها على الوجه الآتي :

(علو . دعا . رما . عصا . منا . موسا . مصطفا . اعطا . استقصا)

وهكذا .

ب — أن ترسم الهمزة بهذا الشكل (ؤ) مطلقاً ، أي سواء وقعت في الأول أو في الوسط أو في الآخر مهما كانت حركتها و حركة ما قبلها ، فترسم الكلمات :

(أتى . سأل . سئل . ساءل . قرأ . قرىء . جرؤ . بدء) على الوجه الآتي :

(ؤتى . سؤل . سؤل . ساؤل . قرؤ . قرؤ . جرؤ . بدؤ) فهي تكتب بشكل واحد في جميع المواقع كسائر الحروف الهجائية الأخرى ، وبهذا يزول التبلبل في رسم الهمزة كما زال في رسم الألف اللينة على ما بيناه آنفاً .

جـ — أن نشكل ما يُشكل في الكلمات من الحروف ، أي أن توضع الشكلة وهي (الفتحة والكسرة والضمة والسكون والشدة) على الحرف عندما يتصور الكاتب أن القارىء قد يشكل عليه صحة النطق به . وهذا الأمر جار في جميع الحروف . وهو قاعدة معروفة في الخط (اشكل ما يُشكل) . ولا أرى موجباً لشذوذ الهمزة عن هذه القاعدة وانفرادها عن سائر الحروف برسوم متعددة مختلفة . فلو كان هذا صواباً ولفائدة مهمة ، للزم أتباعه في سائر حروف الهجاء أيضاً ، وحينئذ قد تصل حروفنا رسماً الى رقم عال يعقّد الأمور . فما هو متبع في رسم غير الهمزة يجب أن يتبع في الهمزة أيضاً .

٤ — أن ترسم الحروف كلها بشكل واحد سواء أكانت أولية أو وسطية أو نهائية ، فترسم العين مثلاً هكذا : (عمر ، بعد ، باع) ، والغين مثلاً هكذا : (غصن ، بغدار ، صاغ) .

ويختار لهذا الرسم الموحد الشكل الآتي :

(ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن و ؤ هـ ي لا) .

ويلاحظ أن موضع الهمزة في هذا الترتيب جاء بعد الواو وبشكل الواو بزيادة هذه العلامة

(ء) فوقها ، وهو موقع مناسب لها بعد الواو وقبل الهاء ، لأنها من حروف الحلق فترابط مع الهاء ، فترسم بشكل الواو مع العلامة الفارقة ، وتلازم صورتها في كل مكان ، كما هو جار في رسم الدال والذال والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء وغيرها . وقد أشرنا الى هذا سابقاً .

ولنجرب هذا الأسلوب بكتابة العبارات الآتية :

(الرجل الكريم يحب الناس والمرأة اللئيم يكرههم العالم) بالحروف المقترحة ، فنكتبها بالشكل الآتي :

(ُلرجل ُلكريم يحب ُلناس وُلمرأة ُللئيم يكرههم ُلعالم) .

٥ — الاحتفاظ بالرسم المألوف بحالته الراهنة مع ثلاثة تعديلات لاغير ، وهي :

(أ) رسم الألف اللينة بهذا الشكل (ا) مطلقاً .

(ب) رسم الهمزة بهذا الشكل (ؤ) مطلقاً .

(جـ) أن تكتب الكلمة بالحروف التي تلفظ عند النطق بها منفردة بلا زيادة ولا نقص .

وانني أرجح هذا الأسلوب الخامس — اذا لم يحصّل الرأي الثالث قبول ذوي الشأن ، للأسباب الآتية :

١ — المحافظة على الأسلوب المألوف .

٢ — المحافظة على جمال الخط الذي أستقر بمد سنوات طويل .

٣ — المحافظة على الصلة بين الماضي والحاضر ، لئلا يقع الإشكال في قراءة الكتب السالفة بعد مرور هذا الجيل ، إذا ما عدلنا عن المحافظة على الأسلوب المألوف .

قد أسرفنا كثيراً في نشر المقالات والبحوث في النوادي العلمية والمؤتمرات في أمر تيسير الخط العربي على طريقة تلائم الماضي من جهة وتربط به المستقبل من جهة أخرى بحيث لا تضيع صالحة سلفت لنا ، ولا تضيع علينا صالحة نستقبلها . ولكن حتى الآن لم تتحرك الجهات ذات

الشأن لجمع الكلمة على رأي ، ولم تمتد يد العمل الى تأسيس ما يتوسل به إلى الانشاء والتجديد في هذا السبيل مع حفظ الصوالح الماضية . وقد مرت عشرات السنين ونحن نتبارى في الأقوال وبعثة الآراء من غير جمع لما قيل ، ولا تصنيف لما بحث ، ولا عمل لتحقيق النتيجة ، شأننا في هذا شأننا في كثير من الأمور الحيوية التي نشعر بضرورة اصلاحها أو تسهيلها ، فنخوض في بحثها ونكتب فيها ما شاء الله أن نكتب ، ثم لا نلبث أن تتقاصر خطانا في التقدم الى العمل ، فيبقى الكلام حبراً على ورق ، وتبقى الآراء في طي الكتمان ، وتلك خلة أعيذ طباعنا أن تستمر عليها . لذلك أهيب بالمعنيين في الأمر الى تحقيق ما يؤدي الى التحول من ساحة الآراء الفسيحة الأرجاء الى ميدان العمل ، وتقرير نتيجة حاسمة فيه ، ومن الله التوفيق .

منير القاضي